الفصل السادس

إليوت كوهين.. مُنظر الحرب العالمية الرابعة

«الإسلام» ذاته هو عدو لأمريكا.. والحضارة الإسلامية والعقيدة الإسلامية لا تتسم بالتسامح.. بل تتناقض مع القيم الغربية.. وهى عقيدة توسعية عنيفة».. على رغم قسوة وفجاجة وخطأ هذه العبارات فإنها تفضح هذا اليهودى الصهيونى (إليوت كوهين).. أحد صناع الشر فى الولايات المتحدة.. والذى يلعب دورا خطيرا فى صياغة أفكار واستراتيجيات الإدارة الأمريكية.. بل إنه أهم المفكرين تأثيرا ونفوذا ضمن تيار اليمين المحافظ الجديد.

هذا الكوهين هو المبشر بالحرب العالمية (الرابعة) أو ما يسمى بالحرب ضد الإرهاب.. ويؤكد أن الولايات المتحدة سوف تتورط فى المزيد من الصراعات، بما فى ذلك السياسات المحلية للدول؟!

ولعل أخطر أهداف صناع الشر من المحافظين الجدد الذين يحكمون ويتحكمون فى الإدارة الأمريكية إلى حين.. لعل أخطر أهدافهم هو تحويل الحرب ضد الإرهاب إلى حرب ضد الحضارة

الإسلامية، وحرب ضد العقيدة الإسلامية.. بل إن هؤلاء - وعلى رأسهم إليوت كوهين - انتقد بوش لمحاولته نفى هذا الاتجاه (ولو ظاهريا)، خاصة حينما التقى الرئيس الأمريكى بالجالية الإسلامية فى أعقاب هجمات الحادى عشر من سبتمبر، وقوله إن هذه الحرب ضد الإرهاب.. وليست موجهة ضد الإسلام.

ولا يتورع إليوت كوهين الإعلان صراحة عن أن الإسلام ذاته هو عدو للولايات المتحدة، وأن الحضارة الإسلامية لا تتسم بالتسامح.. بل تعادى وتناقض القيم الغربية، زاعما أنها حضارة توسعية عنيفة!

ومن الواضح أن كوهين اليهودى يعرف تماما طبيعة الحضارة الإسلامية.. ويعرف تماما من هم (التوسعيون)، وأحدثهم الولايات المتحدة ذاتها.. ولنقل إدارة اليمين المحافظ الجديد التى تسيطر على البيت الأبيض.. وهى لا تعكس توجهات ورؤى نصف الأمريكيين على الأقل.. فالحملات الاستعمارية التى امتدت لقرون طويلة قام بها الغربيون، ومازالوا.. وإسرائيل التى يدافع عنها كوهين بكل الجهد والاجتهاد هى نموذج آخر..نموذج مثالى للتوسع والاستعمار.. ولسنا بحاجة إلى تعديد وسرد حملاتها التوسعية الاستيطانية الاستعمارية داخل وخارج فلسطين، ولو كان الإسلام يمثل حضارة توسعية لزال

وتراجع بمجرد تراجع الامبراطورية الإسلامية، ولكنه يمثل اليوم أسرع الأديان انتشارا.. بلا قوة وبلا عنف، ولكن بقوة الإيمان والتسامح وبتماسك وعمق العقيدة التى يقدمها للعالم بأسره.. وإذا حدثت أعمال عنف من بعض أبنائه فهى رد فعل على التجاوزات الإسرائيلية والاحتلال الأمريكى.. فهى ليست أفعالا بلا مبرر.

كشف الأقنعة :

يزعم إليوت كوهين أن الإسلام معاد للغرب حتى قبل وجود إسرائيل.. لذا فلا دخل للصراع العربى الإسرائيلى بأزمة الإسلام مع الغرب، أى إنه يحاول الفصل فى الصراع بين العرب وإسرائيل وبين أسباب تلك الأزمة الأشمل والأعمق مع الغرب ومن ثم تبرير احتلال إسرائيل وعدوانها المستمر على العرب.

وهى دعوة خبيثة تشبه محاولة الفصل بين تطورات المنطقة والاحتلالين الأمريكى والإسرائيلى لفلسطين والعراق.. وبين دعوات الإصلاح والمشاريع المعدة مسبقا لإعادة صياغة المنطقة.. منذ وعد بلفور.. وحتى وعد بوش! بمعنى آخر إنهم يريدون منا أن نقبل بالاحتلال أو الاحتلالات وتنفيذ روشتة الإصلاح التى يضعها صناع الشر فى أمريكا وأوروبا.. الأخطر من ذلك هناك شريحة من البروتستانت الأمريكيين تعتقد وتزعم أن

الإسلام هو (شر) بذاته.. وهى ذاتها رؤية أحد رجال الدين الذين حضروا حفل تنصيب بوش بالبيت الأبيض عام ٢٠٠١.

وإليوت كوهين عضو لجنة سياسة الدفاع بالبنتاجون التى تضم العديد من الصقور صناع الشر الذين ألقوا بظلالهم الكثيفة السوداء على العالم بأسره.. وليس على أمريكا فقط.. ولم يشرح إليوت كوهين الاتهامات التى ساقها ضد الإسلام.. عقيدة.. وحضارة.. وبشرا.

هؤلاء البشر الذين يقترب تعدادهم من ١,٥ مليار نسمة، أى ثانى أكبر عقيدة فى العالم بعد المسيحية.. وقد وقع كوهين وأمثاله فى فخ صامويل هنتنجتون الداعى إلى صدام الحضارات.. والذى يقول: «إن الحضارات تمثل ظاهرة ثقافية يمكن التعامل معها، كما لو كانت كيانات سياسية مسئولة».. ليس بأفعالهم ومعايير وجودهم وما هم عليه فعلا ولكن لمجرد كونهم مسلمين.. وقد انطلقت أمريكا فى حربها ضد الإرهاب وفق تلك النظرية وانطلاقا من الرؤى الخطيرة والشريرة لأمثال هؤلاء المفكرين، قامت واشنطن بغزو وتدمير واحتلال العراق بناء على أخطاء حكومة صدام.. بل بناء على مجرد نوايا هذا النظام.. وكما قال كولن باول: إن صداماً ينوى امتلاك أسلحة الدمار الشامل!! فتحمل الشعب العراقى..

بل الأمة العربية والإسلامية والعالم بأسره آثار تلك الحرب المدمرة وذات المنطق يمكن تطبيقه على الأمريكيين.. وعلى كل شعوب الأرض: فهل تتحمل تلك الشعوب جرائم وخطايا الحكام؟.. وهل يعكس بوش وأركان إدارته قيم ومبادئ العقيدة المسيحية والحضارة الغربية فعلا من خلال تلك الحرب المدمرة؟.. ولكن المشكلة أن الشعوب هى التى تتحمل المسئولية النهائية لأخطاء حكوماتها.. بما فيها الشعب الأمريكى ذاته الذى يعارض تلك السياسات بشكل فردى.. ولكنه لا يملك الإرادة أو القرار السياسى.

ومع ذلك.. فلا يستحق المسلمون ولا الأمريكيون أن يموتوا أو يقتلوا لمجرد كونهم نتاج حضارة معينة، أيا كانت تلك الحضارة مقبولة أو مرفوضة.. بمعنى آخر فإن هذا النمط (الفكرى) الذى يقدمه إليوت كوهين وأمثاله يمثل قمة الاستبداد والدكتاتورية.. لأنك تعاقب أمة بأسرها وحضارة بأكملها لمجرد خطأ حفنة ضئيلة منها، وربما كانت المخططات الخفية المسبقة لها أهداف أخرى غير معلنة تشمل حرب السيطرة على النفط وعلى الاقتصاد العالمى.. ومن ثم السيطرة والهيمنة على العالم بأسره.. إنه نوع من التفكير والتنظير العنصرى المقيت.. فالعدو ليس عدوا بأفعاله، ولكنه عدو لمجرد

هويته ووجوده كمسلم، فالمسلم - كما يرى كوهين - رجلا كان أو امرأة أو طفلا، هو عدو لمجرد انتمائه الدينى والثقافى.

ولعل إليوت كوهين اليهودى يذكر - أو يتذكر - أنه قبل ستة عقود أو يزيد شن الألمان النازيون الحرب على اليهود لمجرد كونهم يهوداً.. كانوا يطلقون على اليهود العدو الأدنى جنسا وعرقا من الألمان.. وهذه التجربة المريرة التى عاشها اليهود تنطلق من ذات الرؤية العنصرية البغيضة، ولا تختلف كثيرا من الناحية الفكرية والتنظيرية عما يتعرض له المسلمون الآن، فقد اعتبر الألمان أن كل اليهود أعداء لهم لمجرد كونهم يهودا.. أعداء تجب إزالتهم ومحوهم.. واعتبروا اليهود أعداء طبقيين، أى إنهم من طبقة ارستقراطية ثرية.. إنه منطق التفكير الاستبدادى الذى يذكرنا بحروب الإبادة الجماعية التى شهدها القرن العشرون وغيره من القرون، وإذا كان الألمان قد فشلوا فى إبادة كل اليهود - على ضآلة عددهم - فمن المستحيل أن يباد كل المسلمين، لذا فإن الحل الأمثل هو فى التغيير وفرض الإصلاح وفق الاستراتيجية الغربية.. سابقة التجهيز.. بل إن كوهين - أبرز المنظرين والمفكرين داخل تيار اليمين المحافظ فى الولايات المتحدة - يحاول تحميل الثقافة والحضارة والعقيدة مسئولية أخطاء الكيانات السياسية.. سواء كانت حكومات أم قادة أم أفرادا.

وهذا خطأ تاريخى فادح بكل المقاييس.. فإذا تحولت النزاعات والصراعات إلى حروب ثقافية ودينية وحضارية فلن تكون لها حلول.. ولا يمكن التفاوض حولها.. بل ربما تظل عقدا مزمنة ومستعصية.. ودائما ولو افترضنا- جدلا- بقاء المسلم عدوا للغرب لمجرد كونه مسلما.. وأن يظل الغربى عدوا للمسلم لمجرد كونه غربيا.. إذا ظل الحال هكذا- وهو مستحيل - فإن الجميع خاسرون، ولن يستطيع أى منهم السيطرة على مستقبله والتفرغ للبناء والتعمير، وليس للحرب والتدمير.

والواقع يشير إلى عكس ذلك فعلا.. فهذه الاجتهادات الفكرية التى يقدمها كوهين وأمثاله ليست صحيحة وليست حقيقية.. فالصراع الدائر حاليا يتمحور على سياسات الغرب المنحازة ضد العرب والمسلمين بصفة عامة.. وسياسات واشنطن - وتحديدا الإدارة الأمريكية - المعادية للعرب والمتآمرة لصالح إسرائيل وعدوانها واحتلالها.. بل إن تلك الإدارة انزلقت إلى ذات المستنقع.. مستنقع الاحتلال والعدوان الذى سبقتها إليه إسرائيل.

الحرب العالمية الرابعة

أبرز إبداعات إحدى ماكينات الشر إليوت كوهين تتمثل فى دعوته إلى الحرب العالمية الرابعة!!

يقول كوهين: «لقد ذكرت هذا المصطلح لأول مرة بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى صحيفة وول ستريت جورنال.. وهذه الحرب العالمية الرابعة هى الحرب ضد الإرهاب».. مع العلم أنها قد بدأت قبل أحداث سبتمبر فعلا (وهو هنا يفضح المخطط الاستراتيجى الذى تم الإعداد له جيدا ومسبقا لهذه السلسلة من الحروب التى بدأت بأفغانستان ثم العراق.. ولا نعلم - ربما لا يعلم هو أيضا - نهايتها).

أما الحرب العالمية الثالثة.. فهى الحرب الباردة التى استمرت لحقبة طويلة.. وبشكل غير عنيف ولعبت فيها الأساليب الأخرى - غير القوة العسكرية - الدور الأول والأكبر.

يرى كوهين أن واشنطن تواجه إرهابا عالميا.. والجيش الأمريكى يواجه مشكلة أخرى تتمثل فى تجربته المرعبة فى فيتنام.. لذا فإن أفراده وقياداته حريصة على ألا تنزلق نحو هاوية حرب العصابات.. وعلى رغم بعض التجارب الممتازة فى التعامل مع هذه النوعية من الحروب.. وعلى رغم خبرات القوات الأمريكية فى مجال حفظ السلام، فإن هناك اتجاها يرى بأن تلك ليست مهمتهم وأعتقد بأن هذا الاتجاه بدأ يتغير.. فالجنرالات والضباط الذين عادوا من العراق مؤخرا لديهم رؤية مختلفة تماما، لما يجب أن يقوم به الجيش الأمريكى، وقد

لا يقوم الجيش الأمريكى بمثل هذه الحرب المدمرة (مثلما حدث فى العراق) لفترة من الوقت.

ويبدو أن كوهين يشير بشكل غير مباشر إلى مدى عمق المستنقع الذى غاصت فيه القوات الأمريكية.. وإلى مدى المعاناة.. بل الخسائر الجسيمة ماديا وبشرياً التى تواجهها القوات الأمريكية على أرض العراق، وهو اعتراف غير مباشر بخطأ وخطورة المنطلقات الفكرية التى قامت عليها سلسلة الحروب الأمريكية الأخيرة التى لن تتكرر لفترة من الوقت، كما يقول كوهين. فهؤلاء المفكرون مارسوا لعبة فى منتهى الخطورة.. مزجت بين المصالح والعقائد والحضارات والأهواء.. ولعبت بكل هذه المكونات دون إدراك عواقب اللعب بالنار.

يرى كوهين أن امتلاك الولايات المتحدة للقوة العسكرية التقليدية الهائلة يمثل عامل ردع.. ولكن انتشار القوات الأمريكية فيما يزيد على ٧٠ دولة قد يضعف تواجدها وتأثيرها.. ويقول: إن قوتنا تشمل الجيش والاقتصاد والثقافة.. إلخ.. أى القوة بمفهومها الشامل، وسوف نتورط فى مزيد من الصراعات فى كل مكان بالعالم.. سواء ذهبنا إليه أم لم نذهب.. وهذا أحد الدروس التى خرجنا بها من حرب يوغوسلافيا.. ولا يوجد مكان فى العالم نستطيع تجنب

التورط الكامل فى سياساته المحلية، لذا فإننا متواجدون فى كل مكان بالعالم، وفيما يتعلق بالعراق، فالقوات البرية تنتشر على نطاق واسع هناك.. بينما عادت القوات الجوية إلى طبيعتها حيث لم تعد تطير فوق مناطق حظر الطيران!! (فالعراق كله بلا طيران ومنزوع السلاح تقريبا).. وقد عادت أغلب قوات المارينز بعد انتهاء عملها الرئيسى فى العراق، ولكن القوات البرية هى التى تتحمل المزيد من الضغوط فى العراق.

ويرى إليوت كوهين أنه يجب الاهتمام بتطورين كبيرين شهدهما العالم خلال العقود الأخيرة.. الأول هو دخول عصر المعلومات بتأثيراته الضخمة على العقول المدنية.. وتأثيراته الهائلة أيضا على نظم العمل والتسليح العسكرى وعلى نظم الاتصالات وتبادل المعلومات.. والثانى - كما يرى كوهين - يتمثل فى استمرار الصراع مع نهايات الحرب الباردة، فقد نشأت مهام مختلفة للقوات الأمريكية نتيجة اختلاف الدور الأمريكى على مسرح السياسة الدولية، ولعل انتشار قواعدنا العسكرية فى الخارج كان يتناسب مع عصر الحرب الباردة.. وليس مع تطورات المرحلة الجديدة التى تشهدها بلادنا.

الأخطر نفوذا

بقى أن نعرف ونتعرف - عن قرب - على شخصية وهوية إليوت كوهين، فهو عضو لجنة سياسات الدفاع بالبنتاجون التى تضم الكثير من الصقور وصناع الشر.. بمن فيهم ريتشارد بيرل الذى استقال منها مؤخرا اعترافا بفشل مخططاته.. بل مخططات اليمين المحافظ بأسره وحتى يتجنب الرئيس بوش آثار مرافقته خلال الحملة الانتخابية.

أيضا.. فإن إليوت كوهين هو مدير مدرسة جون جوبكنز للدراسات الدولية.. وهو باحث متخصص فى الشئون العسكرية.. وهذه المدرسة هى SAIS تمثل قاعدة لعدد من المحافظين الجدد بمن فيهم بول وولفوويتز، وعالم السياسة فرانسيس فوكوياما، كما يترأس كوهين مركز SAIS للدراسات الاستراتيجية الذى تأسس العام الماضى بمساعدة شخصية من رجل إعلامى ومصرفى بارز وهو أحد مؤسسى مشروع القرن الأمريكى الجديد.. حيث أسهم فى الكثير من أبحاثه وفى تقرير (إعادة بناء الدفاعات الأمريكية)، كما أنه عضو بلجنة ما يسمى (تحرير العراق)!

وكوهين عضو بارز بمعهد (أمريكا انتربرايز) أحد المعاقل الرئيسية لمفكرى اليمين المحافظ، ويرى أحد المراقبين أن

كوهين هو أكثر الأكاديميين المحافظين الجدد نفوذا وتأثيرا، ومع ذلك فإنه يحظى هو وزملاؤه بالكثير من النقد العنيف بعد أن قاد هذا التيار الولايات المتحدة والعالم إلى العديد من الصراعات والنزاعات والحروب، وهو مؤلف العديد من الكتب (تفوق الهيمنة) عام ٢٠٠٢، وهو الكتاب الذى درسه جورج بوش و(ذاكره) استعدادا للحرب ضد العراق، إضافة إلى كتب (المحن العسكرية)، و(تشريح الفشل فى الحرب) و(مواطنون وجنود) و(فدائيون وساسة) و (ثورة المعدات الحربية) و(ثورة إسرائيل الأمنية) الذى يعكس ويفضح انتماءه الصهيونى.. و(السياسة الدفاعية للولايات المتحدة)، بالمشاركة مع كولن باول ولورانس كورب.

❑❑❑

وقد لا يبدو أمثال إليوت كوهين على مسرح الأحداث، ولكنهم يحظون بتأثير كبير وخطير.. من وراء الكواليس فهم الذين يصنعون الاستراتيجيات ويصوغون الأفكار التى تحرك من نراهم أمامنا على خشبة المسرح!